المحاضرة الخامسة عشر: تابع للمقاومات الشعبية

2-المقاومة الرسمية المسلحة الحاج أحمد باي أنموذجا:

أ- **شخصية الباي:** الباي لفظ تركي يعني الأمير، هو الحاج أحمد باي الكرغلي، بن الشريف محمد وحفيد باي قسنطينة أحمد القلي، ولد عام 1784 م بقسنطينة من أب تركي هو الشريف محمد وأم عربية من عائلة بن قانة التي سكنت بسكرة.[1]

فهو من مواليد قسنطينة 1786، كرغلي، فهو جزائري المولد و الأم والعاطفة، كان والده " محمد الشريف " موظفا في حكومة الداي ثم بايا على قسطينة، وكان جده " أحمد القلي " هو الآخر بايا على قسنطينة. وأمُّه من عائلة " رقية بنت الحاج بن قانة" من بسكرة.

و في سنة 1826 عينه الداي حسين بايا على قسنطينة.

وهو **أحمد بن محمد الشريف بن أحمد القلي (1850-1784)**، تولى أبوه منصب خليفة على عهد الباي حسن، أما جده فهو أحمد القلي الذي حكم بايلك الشرق لمدة 16 سنة، أما أمه فتدعى الحاجّة الشريفة جزائرية الأصل، من عائلة ابن قانة أحد أكبر مشائخ عرب الصحراء مالا وجاها.

يعود الفضل في تنشئته الاجتماعية وتكوينه السياسي إلى جده الباي **أحمد القلي**، وجد أحمد باي الرعاية من طرف أخواله في الزيبان، حفظ أحمد باي **القرآن الكريم** وتعلم قواعد اللغة العربية، فشب على ركوب الخيل، وتدرب على فنون القتال. ازداد حبه للدين وهو ما بدا في بعض ما نسب إليه من كتابات وقصائد شعرية، وعرف بكنية الحاج بعد أدائه فريضة الحج، وهو في الثانية عشرة من عمره (12سنة)، ثم مكوثه بمصر مدة من الزمن والأكيد أنه كرغلي الأصل وهذا فيم بعد جعله السبب الرئيسي في عدم اتحاده مع الأمير عبد القادر.

كان يتمتع بشخصية قوية وفرض سلطته على القبائل ودافع عن الإرث العثماني بالجزائر بعد أن ساهم في تقديم الاقتراحات لمواجهة الغزو الفرنسي غير أن خطته بمواجهة القوات الفرنسية الغازية عبر سيدي فرج باستعمال المدافع الثقيلة في البحر لم تؤخذ بالحسبان لأن صهر الباشا حسين داي أعتبر عدم مواجهة العدو على الأرض ليست من أخلاق الرجال، فكانت النتيجة إبادة الجيش الجزائري في معركة اسطاوالي، على أثرها توجه الباي الحاج أحمد الى مقر البايلك بقسنطينة لتنظيم المقاومة المسلحة.

ب-المناصب التي تولاّها أحمد باي[2]: أهمّ المناصب التي تولّاها أحمد باي قائد لقبائل العواسي، والمقصود فيها القبائل التي سكنت في عين البيضاء وما حولها، ومنصب القيادة أُسند إليه نتيجة للثقة

---

[1] عبد المالك زغبة، «ردود فعل الشعب الجزائري (من المقاومة المسلحة الى المقاومة السياسية)»، محاضرات في مقياس تاريخ الجزائر السياسي موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك، (جامعة محمد بوضياف-المسيلة-كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية)، الموسم الجامعي: 2019-2020، ص 21

[2] غادة الحلايقة، « تعريف أحمد باي»، متوفر على الرابط: https://bit.ly/3If5O5c بتاريخ: 2016/02/03.

والحظوة التي يتمتّع بها في مجتمعه، وهذه الرتبة تسمح له لأن يتولّى أمر رقابة إقليم قسنطينة في جزئها الشرقيّ، إضافة إلى إشرافه على ثلاثمئة (300) فارسٍ في السلك العسكري، وأن يكون له أربعة(04) متابعين ومساعدين، يعيّنهم بشكل مباشر، وهم الشاوش، والخوجة، وأيضاً المكحالجي، إضافة إلى السراج. إلاَّ أنّ أحمد الباي قد تخلّى عن هذا المنصب مدّة زمنيّة ليست بقصيرة، واستدعاه نعمان باي وعيّنه **للمرّة الثانيّة** كقائدٍ لقبائل العواسي، وذلك نظراً لخبرته الطويلة في هذا الشأن. ولما زار مصر اجتمع بحاكم مصر محمد علي، وتعرّف على المنجزات التي صنعها، خاصّة في المجال العسكري، وأيضاً تعرّف على كلٍّ من إبراهيم، وطوسون، وعبّاس، أولاد محمد علي. ترقّى فيما بعد الحاج أحمد باي، ليُعيّن خليفة، وذلك في زمن الباي أحمد المملوك، واستمر في منصبه هذا إلى أن حدث خلاف كبير مع حاكم بايلك الشرق الجزائري الباي إبراهيم، وكان ذلك بين عامي ألف وثمانمئة وعشرين (1820)، وألف وثمانمئة وواحد وعشرين للميلاد(1821)، ليُصار إلى عزله، وبسبب خوفه مما قد يُحاك ضدّه في الخفاء أو محاولة تعرّضه للاغتيال، ترك قسنطينة متجهاً إلى الجزائر، لأنّه اتُّهم من الباي إبراهيم بأنّه كان يتعامل مع الباي في تونس ضدّ بلده الجزائر. إلاَّ أن الباي حسين علم بأمر هذه المتهمة الباطلة، فأمر عام ألف وثمانمئة وواحد وعشرين(1821) بقتل الباي إبراهيم، ونتيجة لوساطةٍ من قِبَل الآغا يحي، عُيّن أحمد باي بأمر من الداي حسين بايا على منطقة بايلك الشرق، وكان ذلك في عام ألف وثمانمئة وستة وعشرين للميلاد(1826م)، لتشهد بذلك مدينة القسنطينة أعظم استقرار في عهده، حتّى سقطت هذه المدينة عام ألف وثمانمئة وسبعة وثلاثين(1837م)، ليوحّد أحمد باي جميع القبائل القويّة والكبيرة الموجودة في هذا الإقليم الشرقي، من خلال المصاهرة فيما بينهم، ليتزوّج هو بامرأتين، إحداهما ابنة باي التيطري بومزراق، والثّانية ابنة الحاج عبد السلام المقراني. وبالرّغم من أنّه كان مخلصاً للجزائر، إلاَّ أنّه لم يفكّر يوماً بأن يستقلّ عن **الباب العالي**، وبالرّغم من العروض المغرية التي عرضتها عليه فرنسا، إلاَّ أنّه قاد معركة قسنطينة الأولى، وأيضاً معركة قسنطينة الثّانية في شهر تشرين الأول لعام ألف وثمانمئة وسبعة وثلاثين، وبالرّغم من سقوط القسنطينة بقي يتنقّل في الصحارى والوديّان، ويحرّض جميع القبائل هناك على أن تُقاوم الاستعمار الفرنسيّ.

ج- مقاومة الحاج أحمد باي:

بعد احتلال فرنسا ميناء عنابة، أرسلت قوات عسكرية بقيادة الجنرال كلوزيل للإطاحة بالحاج أحمد باي والاستيلاء على مدينة قسنطينة حيث استدرجهم الحاج أحمد باي الى أسوار المدينة ومباغتتهم من الخلف وتحقيق النصر في أولى معاركه عام 1836 م.

عام 1837 م دفعت فرنسا بجيش قوي قوامه 16000 جندي بقيادة الجنرال دامريمون، وقد حاول الحاج أحمد باي اعتماد التكتيك السابق نفسه، فلم تفلح الخطة الحربية رغم تمكنه من اغتيال الجن ا رل كلوزيل واستخلافه بالجنرال فالي الذي أعتمد على سلاح المدفعية في تحطيم أسوار المدينة ثم الدخول اليها واحتلال مقر البايلك.

تفاصيل المقاومة:

-صادف الحملة الفرنسية أثناء تقديمه " الدنوش " للداي في مدينة الجزائر، وشارك في المعارك الأولى في سيدي فرج و اسطاوالي ، ثم رجع إلى قسنطينة بعد هزيمة الأتراك.

-اعتمد على العناصر الوطنية في مقاومته بعد أن تآمر عليه الأتراك في المدينة خلال تواجده في مدينة الجزائر.

-رفض عرضا فرنسيا بإبقائه في منصبه مقابل التسليم بالإحتلال.

- الحملة الأولى على قسنطينة 1836:

-فشلت بسبب المقاومة و التنظيم و تزامنها مع موجة من الثلوج و الأمطار.

-بسبب الفشل عزلت فرنسا " كلوزيل".

- الحملة الثانية على قسنطينة 1837:

-قادها الحاكم الجديد " دامريمون " الذي قتل في المعركة فخلفه " الجنرال فالي " الذي قام بدك أسوار المدينة بالمدفعية.

-خاضت القوات الفرنسية معارك شرسة أمام صمود وبطولة الأهالي .

-ساندت فرنسا عائلة بوعكاز في الزيبان ضد عائلة بن قانة أخوال أحمد باي / فرق تسُد.

-بعد سقوط المدينة بدأت حرب العصابات.

-سقوط قسنطينة أدى إلى إنقلاب "بن قانة الذي أصبح شيخ العرب في المنطقة" على الباي و تحولها إلى الصف الفرنسي أما بوعكاز فقد انظمت إلى حركة الامير عبد القادر.

-يبين لنا هذا التناقض فعالية السياسة الفرنسية في استعمال بعض العائلات و بث الفرقة و التنافس بينها لخدمة أغراضها.

-استسلم الباي في 05 جوان 1848 ونقل إلى مدينة الجزائر حيث توفي بها 1850 وقبره موجود في العاصمة بزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي.

د- استمرار المقاومة: لجأ الحاج أحمد باي عند أخواله ببسكرة وأخذ يحرض القبائل العربية على المقاومة والجهاد، غير أن المرض وعدم قدرته على رص الصفوف أجبرته على التفاوض مع فرنسا والاستسلام يوم 05 جوان 1848 م الى غاية وفاته.

الوفاة: توفي الحاج أحمد باي نتيجة لحصار تعرّض له من قِبَل الفرنسيّين أثناء وجوده في حصنٍ بين جبال الأوراس وبسكرة، فما كان منه إلاَّ أن استسلم بعد أن استحالت مقاومتهم، ليُقيم إقامة جبريّة إلى أن مات عام ألف وثمانمئة وواحد وخمسين للميلاد(1851 أو 1850) في ظروف غامضة، وقبره اليوم موجود في العاصمة الجزائريّة في سيدي عبد الرحمن الثعالبي. وتمّ دفنه بجوار ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي أعالي القصبة العتيقة.

ما يمكن استخلاصه من مقاومة الحاج **أحمد باي الكرغلي** ما يلي:

1- أن أحمد باي هو الوحيد الذي اعترف له الشعب بالقيادة و أعلن تنصيبه بعد انهيار الادارة التركية بالجزائر، (بعد انهيار حكومة الداي حسين باشا).

2- أنه استفاد من ثقة الشعب فيه و مبايعته على الجهاد دون أن تدعمه قبيلة أو مركز ديني.

3- مبايعة الشعب الجزائري دليل على تجاوز العصبية القبلية مع وجود الخطر المشترك...

4- أن أحمد باي الذي هو كرغلي دافع عن المنطقة المتواجدة فيها حتى النهاية و لم يقبل- أن يضع سلاحه إلّا يوم تقدم به السن واشتد عليه المرض.

5- استمرار مقاومة الحاج أحمد باي 18 عام كاملا ضد جبهات ثلاث(فرنسا باي تونس خونة الداخل.)